تقرير عن سبعة مدافن من قرية المليحة
من بداية العهد الروماني

ميشيل مقدسي

بتكليف من المديرية العامة للآثار والمتاحف[1] وخلال الفترة الممتدة مابين ١٦ /آذار/ ١٩٨٢ و ٢٤ /آذار / ١٩٨٢. انجزنا تنقيبات طارئة جنوبي قرية المليحة، أسفرت عن كشف تجمع لتوابيت تعود على الأغلب لمقبرة كانت قائمة في تلك البقعة.

تم إجراء التنقيب في ثلاثة مربعات متجاورة مرقمة حسب أسبقية التنقيب بالأرقام (١ - ٢ - ٣) (راجع الشكل -١-) وكانت تصادفنا عند بداية التنقيب طبقة من الأرض الزراعية بنية اللون (سماكتها ٨٠ سم) تليها مباشرة طبقة من المجروفات الصوانية الناتجة عن الحت النهري والممزوجة بتراب بني مائل إلى الصفرة (سماكتها تتراوح بين ٣٠ سم و ٥٠ سم) وعند هذه الطبقة تبدأ التوابيت بالظهور: ويتألف التابوت من كتلة واحدة من الحجر الكلسي الأبيض المصفر قليلاً، لها شكل متوازي مستطيلات وهي منحوته بشكل منتظم ودقيق ولاتحمل أي نقش أبعادها تتراوح بين (٢٥٥ سم × ٧٥ سم × ٧٥ سم) و (٢٢٠ سم × ٧٥ سم × ٦٠ سم) مفرغة بشكل مستطيل منتظم له حنية نصف دائرية: ويغلق التابوت بخمسة ألواح من الأحجار غير المنتظمة (راجع الشكل -٧-).

التابوت أ (راجع الشكل -١-) :

ظهر التابوت أ على عمق ١٠٣ سم عند منتصف الضلع الشمالي المربع -١- لذلك كشف عنه جزئياً، إتجاهه جنوبي شرقي/شمالي غربي[2] يحوي هيكلين عظميين متجاورين، جمجمتاهما بمحاذاة الحنية نصف الدائرية.

اللقى المدفنية: قارورة زجاجية (بكاية) مهشمة ذات زجاج صاف، لونها أخضر مزرورق فاتح جداً وجدت تحت جمجمة أحد الهيكلين العظميين (راجع الشكل -٥-)

التابوت ب (راجع الشكلين ١ و ٢) :

مثل سابقه تماماً لكنه ينحرف قليلاً نحو الشرق ظهر على عمق ١٣٠ سم عند الضلع الجنوبي للمربع -٢- وهو يحوي هيكلاً عظمياً واحداً.

اللقى المدفنية: قارورة زجاجية (بكاية) كاملة، نبيذية اللون، وجدت تحت جمجمة الهيكل العظمي (راجع الشكلين ٤ و ٦)

التابوت ج (راجع الشكلين ١ و ٣) :

ظهر على عمق ١٣٠ سم عند منتصف المربع -٣- مثل التابوتين أ و ب لكن إتجاهه مغاير تماماً (شمالي غربي / جنوبي شرقي) لايوجد مع هيكله العظمي أي أثاث جنائزي، لكن وجدت

فوقه كسر جرة فخارية (عمق ٨٠ سم عن سطح الأرض) وهي تعود على الأغلب لعهد احدث.

التوابيت د، هـ، و، ز :

توابيت أخرجت من قبل أهل القرية قبل بدء عملية التنقيب وهي مشابهة جداً للتوابيت السابقة، ثلاثة منها كاملة (التوابيت د، هـ، ذ) والرابع مهشم.

ملاحظات حول هذه التوابيت :

١ ـ منحوتة بشكل منتظم الأمر الذي يدل على أن صانعها كان يحترف مهنة نحت التوابيت وبالتالي ينتج الأعداد الكبيرة منها.

٢ ـ لاتحمل إتجاهاً منتظماً.

٣ ـ غير منهوبة ذلك لأننا وجدناها مغلقة بالألواح الحجرية.

٤ ـ الأثاث الجنائزي فقير جداً.

٥ ـ جمجمة الهيكل العظمي دائماً مجاورة للحنية نصف الدائرية.

٦ ـ القارورة الزجاجية (البكاية) تحت جمجمة الهيكل العظمي قد يكون لها علاقة بطقس جنائزي.

وجدت توابيت مشابهة للتوابيت آنفة الذكر في دمشق حي القنوات[٣] وقرب القصر العدلي، وفي الغوطة بكفر بطنة[٤] وفي شمالي الأردن قرية الحبيس[٥] (جنوبي بحيرة طبرنة في وادي اليرموك). وهي على الأغلب تعود إلى العصر الروماني المبكر ومايعزز هذا الإعتقاد التشابهة الكبير من حيث الشكل واللون والأبعاد للقارورة الزجاجية التي وجدت في المدفن أو أخرى وجدت في ساموتراس (جزيرة يونانية في بحر إيجة) وتنسب إلى عهد الأمبراطور تيبيريوس و مؤرخة في الربع الثاني من القرن الأول بعد الميلاد[٦].

الحواشي :

(١) شارك معنا في العمل من دائرة آثار دمشق السيد مطرخشان وتم العمل بإشراف مديرية التنقيب والدراسات الأثرية ودائرة آثار دمشق، وقد ساعدنا في أعمال التصوير والترميم الأستاذان مروان مسلماني ومحمد فارس فلهم وافر الشكر.

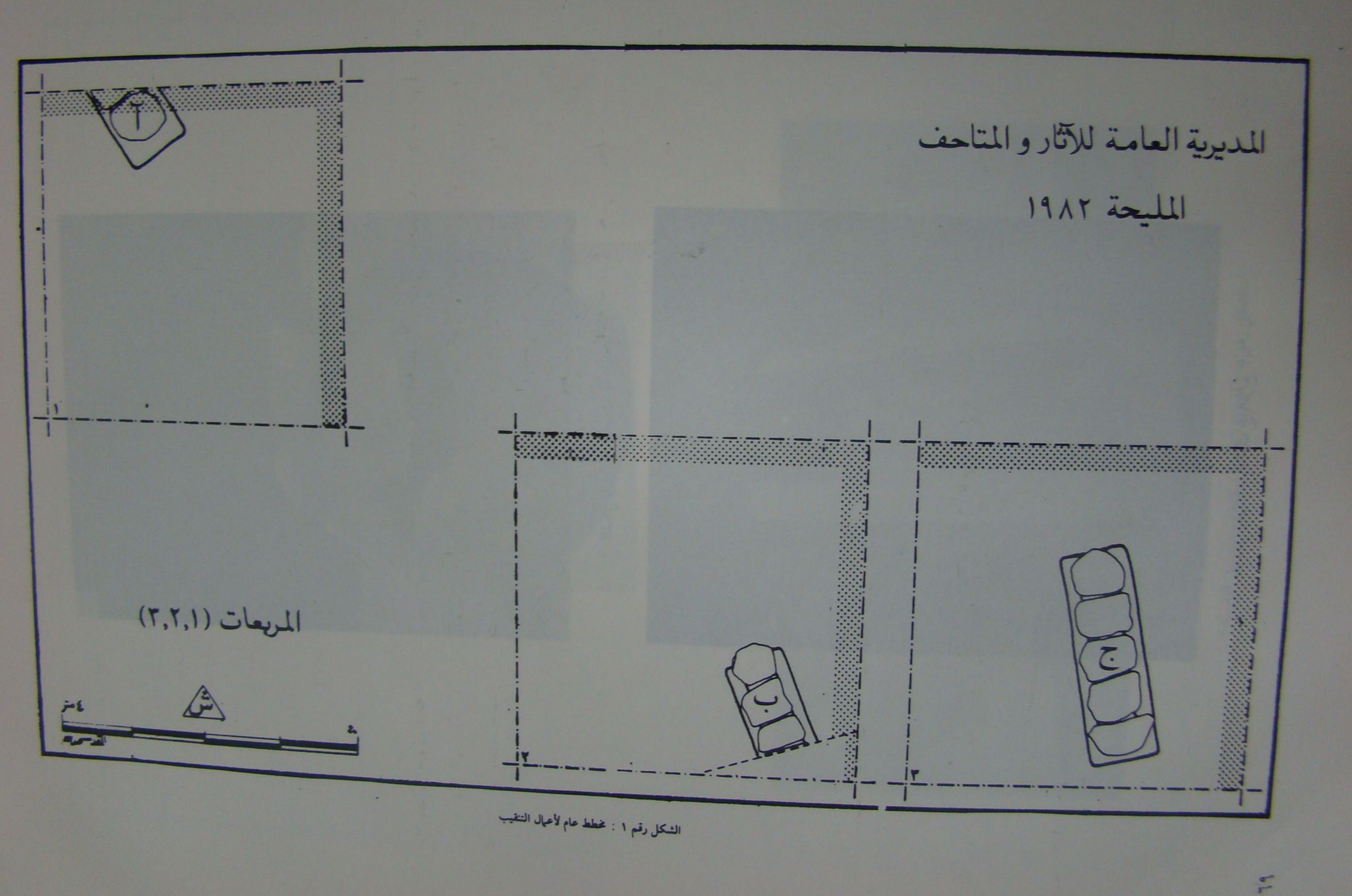
(٢) الإتجاه الأول مأخوذ عند الحنية نصف الدائرية.

(٣) راجع قاسم طوير : النتائج الأولية للتنقيب في عشر مدافن من العهد الروماني في دمشق، الحوليات الأثرية العربية السورية، ٢٠، ١٩٧٠، ص. ص ٦١/٦٦ (انظر المدفن آ. المخطط رقم ٤ ـ المدفن ط، الصورة رقم ٦).

(٤) مدفن محفوظ في حديقة المتحف الوطني بدمشق يحمل الرقم ٦٣٦٠.

(٥) راجع T.M. Kerester etal: An Archaeological Surcey of Three Reservoir Areas in Northern, Jorsan, 1978; A.D.A.J. XXXII, 1977/78, P.119,PL.LXV,1.

(٦) راجع E.B.Dusenbery: Ancient Gless From the Cemeteries of Samathrace; J.G.S., IX, 1967, P.42, fig. 23.



الشكل رقم ١ : مخطط عام لأعمال التنقيب



الشكل رقم ٢ : التابوت ب (المربع ٢)



الشكل رقم ٣ : التابوت ج (المربع ٣)



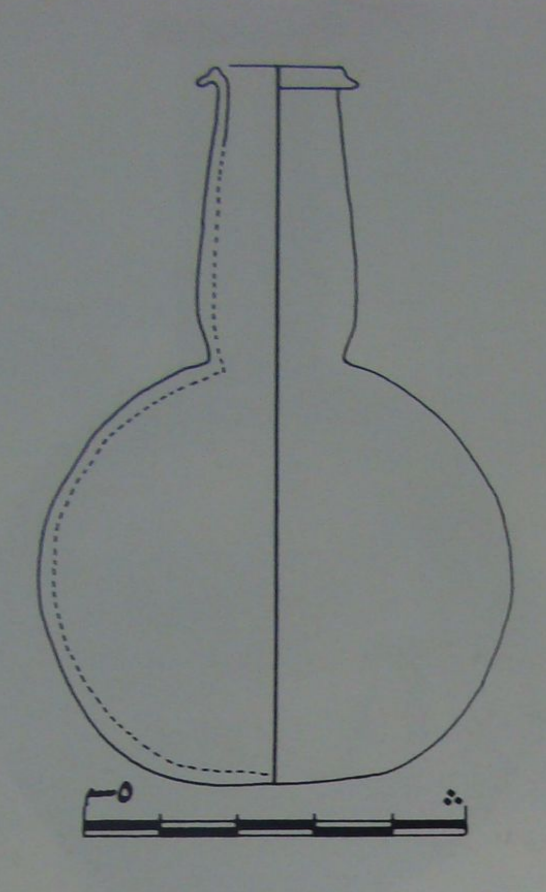
ش ٥سم

الشكل رقم ٤ : قارورة زجاجية (بكاية) وجدت في التابوت ب

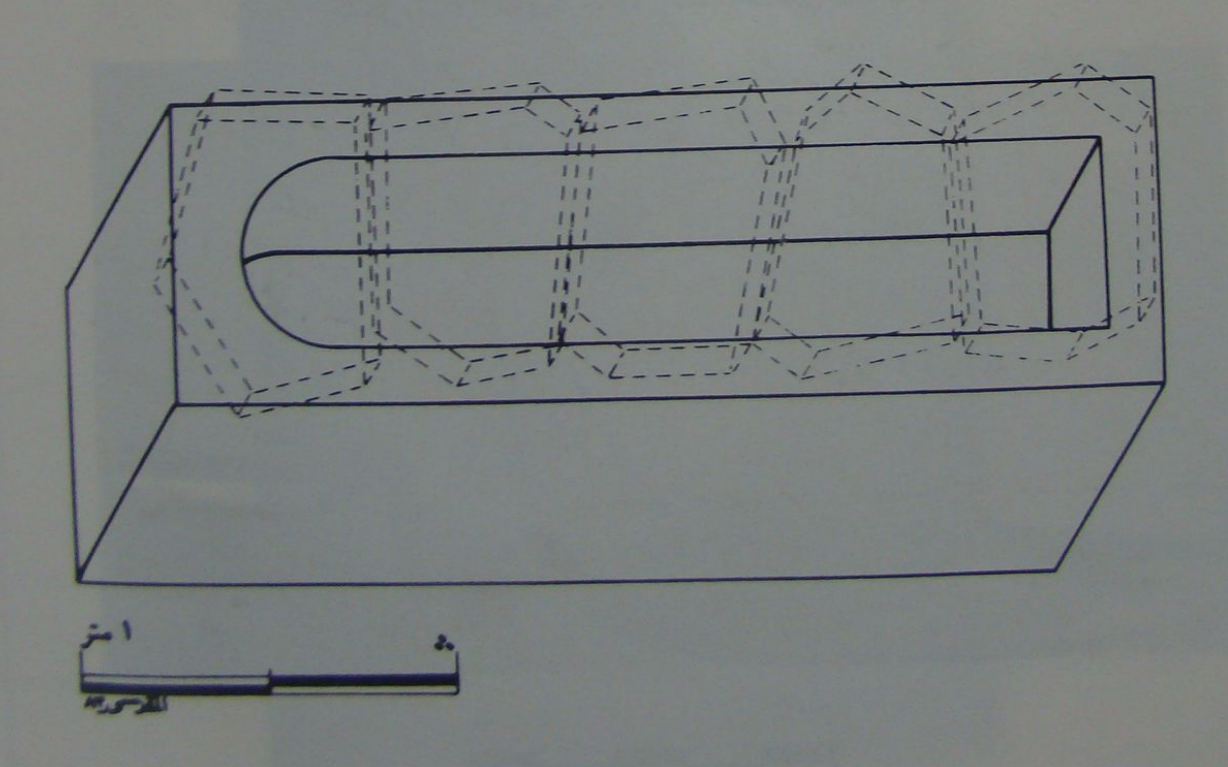


ش ٥سم

الشكل رقم ٥ : قارورة زجاجية (بكاية) وجدت في التابوت أ



الشكل رقم ٦ : قارورة زجاجية (بكاية) وجدت في التابوت ب



الشكل رقم ٧ : نموذج توابيت المليحة